وَلِـلْـوَاجِـدِ الـمَـكْـرُوبِ مِـنْ زَفَـرَاتِـهِ
سُـكُـونُ عَـزَاءٍ أَوْ سُـكُـونُ لُـغُـوبِ(١)
وَكَـمْ لَـكَ جَـدًّا لَـمْ تَـرَ الْـعَـيْـنُ وَجْـهَـهُ
فَـلَـمْ تَـجْـرِ فِـي آثَـارِهِ بِـغُـرُوبِ(٢)
فَـدَتْـكَ نُـفُـوسُ الْـحَـاسِـدِيـنَ فَـإِنَّـهَـا
مُـعَـذَّبَـةٌ فِـي حَـضْـرَةٍ وَمَـغِـيـبِ(٣)
وَفِـي تَـعَـبٍ مَـنْ يَـحْـسُـدُ الـشَّـمْـسَ نُـورَهَـا
وَيَـجْـهَـدُ أَنْ يَـأْتِـي لَـهَـا بِـضَـرِيـبِ(٤)

حب الشجاع الحرب أورده الحرب

يمدحه ويذكر بناء مرعش سنة ٣٤١ هـ (٩٥٢ م):

[الطويل]

فَـدَيْـنَـاكَ مِـنْ رَبْـعٍ وَإِنْ زِدْتَـنَـا كَـرْبَـا
فَـإِنَّـكَ كُـنْـتَ الـشَّـرْقَ لِـلـشَّـمْـسِ والْـغَـرْبَـا(٥)

---

(١) الواجد: الحزين. المكروب: الحزين. اللغوب: الإعياء. ومن طبيعة الأحداث أن يستريح الحزين إلى هدوء البال طوعاً أو كرهاً لما ينزل به من إعياء نتيجة شدّة حزنه على من فقد.

(٢) الغروب، الواحد غرب: الدموع. وكثير من الأجداد قد رحلوا عن هذا الوجود، ولم يعرف سيف الدولة وجوههم أو ير صورهم ولم يبكهم، فليتأسّ بهم وهم من أرومته، ويماك غريب وإن عرفه سيف الدولة وشاهد ملكاته.

(٣) ومن طبيعة الأحداث أن يدعو الشاعر على حاسدي ممدوحه ليكونوا فداءً له، ولينعموا بعذابهم وقد نهشت الغيرة والحسد قلوبهم.

(٤) الضريب: المثيل، الشبيه. والممدوح شمس، تنشر الدفء والضياء والأمن، فإذا بنورها يشمل الكون كله بإشعاعها، ومهما حاول هؤلاء العثور على شبيه للممدوح فلن يعثروا عليه، شأنه في ذلك شأن الشمس.

(٥) ورد شطر البيت الأول في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٨٥. يبدأ الشاعر قصيدته بمطلع تقليدي، شأنه في ذلك شأن الشعراء الجاهليين. الربع: المنزل. الكرب: الحزن. يخاطب الشاعر الديار وقد رحل عنها ساكنوها، فخيّم عليها الحزن =

وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنَا
فُؤَاداً لِعِرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبَّا[١]
نَزَلْنَا عَنِ الأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً
لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نُلِمَّ بِهِ رَكْبَا[٢]
نَذُمُّ السَّحَابَ الْغُرَّ فِي فِعْلِهَا بِهِ
وَنُعْرِضُ عَنْهَا كُلَّمَا طَلَعَتْ عَتْبَا[٣]
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَوِيلاً تَقَلَّبَتْ
عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا[٤]
وَكَيْفَ الْتِذَاذِي بِالأَصَائِلِ وَالضُّحَى
إِذَا لَمْ يَعُدْ ذَاكَ النَّسِيمُ الَّذِي هَبَّا[٥]

= وغزتها الظلمة التي كانت تنداح بإطلالة وجه الحبيبة، فيعمّ النور المكان، ويتوالى على المكان ليل ونهار بوجود من يحبّ.

(١) الفؤاد: القلب. يستغرب الشاعر من حاله كيف أن تعرّف إلى معالم المكان، رغم أن حبيبته قد استحوذت على قلبه وعقله. ومن دونهما لا يستطيع امرؤ معرفة أيّ شيء.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٠. الأكوار، الواحد كور: رحل البعير. نلمّ: ننزل. بان: رحل. ما إن عرّج الركب حتى ترحّل جمعهم عن رواحلهم إكراماً لذكرى حبيب ترك الربع خاوياً إلى حيث تحطّ به الأقدار.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٠. الغرّ: البيضاء. لقد استحالت طبيعة الربع بفعل العوامل الطبيعية، فالأمطار فعلت فعلها، فما عادت الأمطار سبب الحياة، فإذا بها تمحو رسوم تلك الديار فاستحقت الذمّ لذلك، ومن عتب الشاعر الإعراض عنها؛ فقد أصبحت غريبة فاقدة لهويتها.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٠. في هذا البيت رائحة تشاؤم وعتاب؛ فالدنيا لا يستقيم أمرها على حال، بل إنها لعوب بخواطر البشر تتقلّب كيفما اتّفق، فإذا بالصدق يبدو كذباً، فترى العين خلاف الواقع.

(٥) الأصائل، الواحد أصيل: وقت ما بين العصر والمغرب. لقد كان للأصائل طعم وريح خاص يوم كانت الحبيبة في تلك الديار تنشر عبق الحب صباح مساء ويتنفّس الشاعر بهجة الفتوّة والشباب في غفلة عن مسؤوليات الحياة الملحّة.

ذَكَـرْتُ بِـهِ وَصْـلاً كـأَنْ لَـمْ أَفُـزْ بِـهِ
وَعَـيْـشـاً كـأَنّـي كُـنْـتُ أَقْـطَـعُـهُ وَثْـبَـا[١]
وَفَـتَّـانَـةَ الْـعَـيْـنَـيْـنِ قـتَّـالَـةَ الْـهَـوَى
إِذَا نَـفَـحَـتْ شَـيْـخـاً رَوَائِـحُـهَـا شَـبَّـا[٢]
لَـهَـا بَـشَـرُ الـدُّرِّ الَّـذِي قُـلِّـدَتْ بِـهِ
وَلَـمْ أَرَ بَـدْراً قَـبْـلَـهَـا قُـلِّـدَ الـشُّـهْـبَـا[٣]
فَـيَـا شَـوْقُ مَـا أَبْـقَـى وَيَـا لِـي مِـنَ الـنَّـوَى
وَيَـا دَمـعُ مَـا أَجْـرَى وَيَـا قَـلْـبُ مَـا أَصْـبَـى[٤]
لَـقَـدْ لَـعِـبَ الـبَـيْـنُ الـمُـشِـتُّ بِـهَـا وَبِـي
وَزَوَّدَنِـي فِـي الـسَّـيْـرِ مَـا زَوَّدَ الـضَّـبَّـا[٥]

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٠. ويروى «نهبا» بدلاً من «وثبا». ومن طبيعة المسرّات أنها تمضي سِراعاً كالبرق الخاطف تلك هي حال الشاعر كانت في تلك الأطلال؛ فإذا بالعيش كغمضة عين.

(٢) نفحت: نشرت الطيب. لقد فتن الشاعر بذات عينين ناعستين جميلتين تصطاد بهما من ودّت إيقاعه في شركها حتى الشيخ تنفخ فيه قوّة الشباب وعزم الفتوّة.

(٣) البشر: ظاهر الجلد، الدرّ: اللؤلؤ. الشهب، الواحد شهاب: النجوم. يصف الشاعر حبيبته، فهي رقيقة الجلد يكاد الذرّ يجرحه لرقّته، وهي بدر يشرق في ليالي ظلمة الحياة فيضيء الكون بفيض من نور جميل ساحر.

(٤) ورد البيت في: مغني اللبيب وشرح شواهده، للسيوطي: ٢٠٨، ٢١٩، شرح شواهد شروح الألفية، للعيني ٤: ٢٦٦، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ٣: ١٦٣. النوى: البعد. صبا: مال. ويروى «بالي» بالباء بدلاً من «يالي» بالياء. يتألم الشاعر لما حلّ به، فقد أودى فراق حبيبته بأشواقه وأحلامه وخلّف وراءه دموعاً وقلباً حملت أمانيه حبيبته معها فبات يهيم حيثما حلّت.

(٥) البين: الهجر، الفراق. المشتّ: المبعد. الضب: ضرب من الحيوانات الزاحفة. ومن سخرية الأقدار أن الفراق يلعب لعبة الضياع فلا يستهدي الشاعر إلى طريق السلامة فالتبست عليه الطرق المؤدّية إلى منجاته في حيرة الضياع.

وَمَـنْ تَـكُـنِ الأُسْـدُ الـضَّـوَاري جُـدُودَهُ
يَـكُـنْ لَـيْـلُـهُ صُـبْـحـاً وَمَـطْـعَـمُـهُ غَـصْـبَـا[١]
وَلَـسْـتُ أُبَـالِـي بَـعْـدَ إِدْراكِـي الْـعُـلَـى
أَكَـانَ تُـرَاثـاً مَـا تَـنَـاوَلْـتُ أَمْ كَـسْـبَـا[٢]
فَـرُبَّ غُـلَامٍ عَـلَّـمَ الـمَـجْـدَ نَـفْـسَـهُ
كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا[٣]
إِذَا الـدَّوْلَـةُ اسْـتَـكْـفَـتْ بِـهِ فِـي مُـلِـمَّـةٍ
كَـفَـاهَـا فَـكَـانَ الـسَّـيْـفَ وَالْـكَـفَّ وَالْـقَـلْـبَـا[٤]
تُـهَـابُ سُـيُـوفُ الـهِـنْـدِ وَهْـيَ حَـدَائِـدٌ
فَـكَـيْـفَ إِذَا كَـانَـتْ نِـزَارِيَّـةً عُـرْبَـا[٥]
وَيُـرْهَـبُ نَـابُ الـلَّـيْـثِ وَالـلَّـيْـثُ وَحْـدَهُ
فَـكَـيْـفَ إِذَا كَـانَ الـلُّـيُـوثُ لَـهُ صَـحْـبَـا[٦]

---

(١) و (٢) ينطق الشاعر بلسان حاله؛ فالوراثة قانون لا يحيد في الحياة، فالولد سرّ أبيه، والشبل من ذاك الأسد. إنه ينتمي إلى ضواري الأسود، تربّى بعرين يصعب الوصول إليه لمنعته، ولقد تعوّد على الصيد يأخذ كلّ شيء غصباً، وليله كنهاره كفاح ونجاح. لذا فهو لا يهتمّ سواءٌ أكان إدراكه المعالي من جناه أم من أجداده.

(٣) و (٤) يتخلص الشاعر إلى مدح سيف الدولة من خلال الإشادة بما حقّقه بجهده لنفسه من سمو ورفعة، ففعله شبيه بفعل ممدوحه البارع في فنون القتال ضرباً وطعناً وهو مرجع الأمة في الملمات وصعاب الأمور يأخذ بيدها إلى برّ الأمن والأمان، بفضل ما يتمتّع به من ملكات نادرة؛ إنه السيف البتّار والقلب القوي على أعدائه الرحيم على رعيته بما يهبها من عطاء يمينه وكرم نفسه.

(٥) و (٦) ومن حسن التفاتة الشاعر أن سيوف الهند المصنوعة من حديد لا تعمل إلا بفضل حامليها وقوتهم، وسيف الدولة عربي ينتمي إلى نزار تلك القبيلة العريقة بفنون القتال، فلذا لا بدّ أن يثير في نفوس أعدائه الخوف قبل منازلته في ميدان المعركة، وهو السيف القاطع ينبري لهم منفرداً، والطامة الكبرى إذا صحب الأسد الضاري أسوداً من بني قومه.

وَيُـخْـشَـى عُـبَـابُ الْـبَـحْـرِ وَهْـوَ مَـكَـانَـهُ
فَـكَـيْـفَ بِـمَـنْ يَـغْـشَـى الْـبِـلَادَ إِذَا عَـبَّـا[١]
عَـلِـيـمٌ بـأَسْـرَارِ الـدِّيَـانَـاتِ وَالـلُّـغَـى
لَـهُ خَـطَـرَاتٌ تَـفْـضَـحُ الـنَّـاسَ وَالْـكُـتْـبَـا[٢]
فَـبُـورِكْـتَ مِـنْ غَـيْـثٍ كَـأَنَّ جُـلُـودَنـا
بِـهِ تُـنْـبِـتُ الـدِّيـبَـاجَ وَالْـوَشْـيَ وَالـعَـصْـبَـا[٣]
وَمِـنْ وَاهِـبٍ جَـزْلاً وَمِـنْ زَاجِـرٍ هَـلا
وَمِـنْ هَـاتِـكٍ دِرْعـاً وَمِـنْ نَـاثِـرٍ قُـصْـبَـا[٤]
هَـنِـيـئـاً لِأَهْـلِ الـثَّـغْـرِ رَأْيُـكَ فِـيـهِـم
وَأَنَّـكَ حِـزْبَ الـلَّـهِ صِـرْتَ لَـهُـمْ حِـزْبَـا[٥]

---

(١) عباب البحر: موجه المتلاطم. يغشى: يغطي بشموله. عبّ: امتلأ. الممدوح بحر متلاطم زاخر جبّار في حال غضبه؛ الكل يقف أمامه عاجزاً مشلول الإرادة، وهو في حال هدوئه كريم يعمّ فضله. ونواله يشمل بلاداً شاسعة بفيض كرمه.

(٢) وللمرّة الأولى يُمدح ممدوح بمعرفته بأسرار الديانات، وإجادة في اللغات؛ فهو يتكلّم بها في طلاقة وسلاسة، فضلاً عن تفتح ذهنه بلمحات تنمّ عن ذكاء حادّ تحيّر العلماء من الناس، والغريب أن تلك الخطرات لم يرد ذكرها في الكتب.

(٣) الغيث: المطر. الديباج: فارسي معرّب، ضرب من الأردية. الوشي: ثوب مزركش لكثرة الألوان فيه، العصْب: من أردية اليمن. يدعو الشاعر لممدوحه بالبركات؛ وذلك لأنه يُسبغ على رعيته ومنهم الشاعر شتى أنواع الأثواب، فكأن جلودهم نبتت بما يسترهم من كرمه.

(٤) الجزل: الكثير. الزجر: المنع والنهي. هلا: من أسماء الصوت. القصب: المعي. يتابع الشاعر مدح سيف الدولة، فهو كريم يهب الكثير ولا يخشى فقراً، فهو يحصّل ما يوزّعه من مال بفضل حروبه المظفّرة، فهو يصول ويجول بخيله ديار الأعداء ويمزّق دروع الأبطال فينثرهم معفّرين بتراب الأرض وقد تمزّقت امعاؤهم.

(٥) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ٣٢٣. الثغر: هو البلد المجاور لبلاد أعداء المسلمين. من حسن حظ سكّان ذلك الثغر أن سيف الدولة اضطلع بمهام الدفاع عنهم، إنه من حزب اللّه تعالى المنصور وهم به يجتمعون ويقوون على أعدائهم.

وَأَنَّكَ رُعْتَ الدَّهْرَ فِيهَا وَرَيْبَهُ
فَإِنْ شَكَّ فَلْيُحْدِثْ بِسَاحَتِهَا خَطْبَا (١)
فَيَوْماً بِخَيْلٍ تَطْرُدُ الرُّومَ عَنْهُمُ
وَيَوْماً بِجُودٍ يَطْرُدُ الْفَقْرَ وَالْجَدْبَا (٢)
سَرَايَاكَ تَتْرَى وَالدُّمُسْتُقُ هَارِبٌ
وَأَصْحَابُهُ قَتْلَى وَأَمْوَالُهُ نُهْبَى (٣)
أَتَى مَرْعَشاً يَسْتَقْرِبُ الْبُعْدَ مُقْبِلاً
وَأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا (٤)
كَذَا يَتْرُكُ الأَعْدَاءَ مَنْ يَكْرَهُ الْقَنَا
وَيَقْفُلُ مَنْ كَانَتْ غَنِيمَتُهُ رُعْبَا (٥)
وَهَلْ رَدَّ عَنْهُ بِاللُّقَانِ وُقُوفُهُ
صُدُورَ الْعَوَالِي وَالْمُطَهَّمَةَ الْقُبَّا (٦)

(١) رعت: أرعبت. ريب الدهر: حدثانه ومصائبه. الخطب: المصيبة. ومن مبالغات الشاعر أن سيف الدولة أرعب الدهر فخاف ولم يسعَ لإنزال الخسف في أهل ذلك الثغر، فإذا بهم ينعمون بالأمن والسلام في ظلّ سيف الدولة حاميهم.

(٢) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ٣٢٣. الجدب: القحط. أيام سيف الدولة تتلخص بيومين، نراه يوماً محارباً للروم ينزل بهم الخسف ويطردهم من الثغر بجيشه ويوماً آخر يعمل على إصلاح حال أهل الثغر، فيطرد عنهم شبح الفقر برفده وعطائه.

(٣) و (٤) السرايا، واحدتها سرية: صفوة الجيش من فرقه. تترى: متتالية. يخاطب الشاعر ممدوحه منوّهاً بما هو عليه من إنجازات؛ فسراياه تتوالى إلى ذلك الثغر وتتوالى الانتصارات، وفي مقابل ذلك فرار قائد الروم الدمستق مؤثراً السلامة مخلفاً وراءه جيشاً مهزوماً تتناوشه أسلحة جند سيف الدولة، وتنتهب أمواله؛ ولقد حمله جشعه على المغامرة ومهاجمة مرعش تلك المدينة التي رفع أركانها سيف الدولة. ولكن خابت مساعيه حالما سمع بقدوم جيش عظيم على رأسه سيف الدولة حتى ولّى هارباً مرعوباً.

(٥) يقفل: يرجع، تلك هي حال الجبناء الذين يكرهون اللقاء في ميادين الجِلاد، وينقصون على أعقابهم يجرّون وراءهم غنيمة بخس مغلّفة بالرعب وبطائنها الجبن.

(٦) اللقان: أحد ثغور بلاد الروم آنذاك «الأناضول» اليوم. العوالي: الرماح. الخيل =

مَـضَـى بَـعْـدَ مَـا الْـتَـفَّ الـرِّمَـاحَـانِ سـاعَـةً
كـمَـا يَـتَـلَـقَّـى الْـهُـدْبُ فِـي الـرَّقْـدَةِ الْـهُـدْبَـا[١]
وَلٰـكِـنَّـهُ وَلَّـى وَلِـلـطَّـعْـنِ سَـوْرَةٌ
إِذَا ذَكَـرَتْـهَـا نَـفْـسُـهُ لَـمَـسَ الْـجَـنْـبَـا[٢]
وَخَـلَّـى الْـعَـذَارَى وَالْـبَـطَـارِيـقَ وَالْـقُـرَى
وَشُـعْـثَ الـنَّـصَـارَى وَالْـقَـرَابِـيـنَ وَالـصُّـلْـبَـا[٣]
أَرَى كُـلَّـنَـا يَـبْـغِـي الْـحَـيـاةَ لِـنَـفْـسِـهِ
حَـرِيـصـاً عَـلَـيْـهَـا مُـسْـتَـهَـامـاً بِـهَـا صَـبَّـا[٤]
فَـحُـبُّ ٱلْـجَـبَـانِ الـنـفـسَ أَوْرَدَهُ الـبـقَـا
وَحُـبُّ الـشُّـجَـاعِ الـحَـرْبَ أَوْرَدَهُ الْـحَـرْبَـا[٥]

= المطهمة: التامة الخلق. القبّ من الخيل: الضامرة. ومن سوء حظّ الدمستق أنه نزل في اللقان يستعدّ للحرب، ولسوء طالعه فلم تغن عنه أسلحة جيشه وحالما علم بجيوش النصر قادمة توارى عن الأنظار.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٠. الهدب: أشفار العين. سرعان ما فرّ الدمستق من جحيم الموت وقد استمرّت المناوشات بين الفريقين ساعة كأنها إغماضة عين حالمة، فإذا بالنائم يهبّ مرتعشاً خائفاً من رقدته.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٠. السورة: الحدّة. لقد ولى الدمستق هارباً وتاركاً جيشه لمصيره البئيس والمعركة في أوج اشتدادها، ومن شدّة تأثره بما شاهد راح يتحسس جنبيه والوهم يُوحي إليه أنه مصاب بطعنة رمح ليتأكّد بأنه لا يزال على قيد الحياة.

(٣) تخلّى عن مسؤوليته؛ فالعذارى سبايا والبطارقة صرعى أو أسرى والرهبان أذلّة، جاءوا يستنهضون الهمم فإذا بهم يلاقون سوء المصير، فلم تنفعهم قرابينهم وصلبانهم ولم تحمهم من الذلّ الذي حلّ بهم.

(٤) و (٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٠. ويروى «التقى» بدلاً من «البقا» ويروى «النفس» بدلاً من «الحرب». المستهام: العاشق. طبع البشر على حبّ الحياة والبقاء يدفعهم عشق للذائذها؛ فالجبان يحتمي بالذل قانعاً بخنوعه، فلا يُقدم على المغامرة والقتال، والشجاع يحرص على البقاء فيُقاتل دِفاعاً عن نفسه وحماية لها من الطامعين وردعاً لكل من تسوّل له نفسه الانقضاض عليها.

وَيَـخْـتَـلِـفُ الـرِّزْقَـانِ وَالْـفِـعْـلُ وَاحِـدٌ
إِلَـى أَنْ يُـرَى إِحْـسَـانُ هٰـذَا لِـذَا ذَنْـبَـا[١]
فَـأَضْـحَـتْ كَـأَنَّ الـسُّـورَ مِـنْ فَـوْقِ بَـدْئِـهِ
إِلَى الأَرْضِ قَدْ شَقَّ الْكَواكِبَ والتُّرْبَا[٢]
تَـصُـدُّ الـرِّيَـاحُ الْـهُـوجُ عَـنْـهَـا مَـخَـافَـةً
وَتَـفْـزَعُ مِـنْـهَـا الـطَّـيْـرُ أَن تَـلْـقُـطَ الْـحَـبَّـا[٣]
وَتَـرْدِي ٱلْـجِـيَـادُ الْـجُـرْدُ فَـوْقَ جِـبَـالِـهَـا
وَقَـدْ نَـدَفَ الـصِّـنَّـبْـرُ فِي طُـرْقِـهَـا الْـعُـطْـبَـا[٤]
كَـفَـى عَـجَـبـاً أَنْ يَـعْـجَـبَ الـنَّـاسُ أَنَّـهُ
بَـنَـى مَـرْعَـشـاً تَـبَّـا لِآرَائِـهِـمْ تَـبَّـا[٥]
وَمَـا الْـفَـرْقُ مَـا بَـيْـنَ الْأَنَـام وَبَـيْـنَـهُ
إِذَا حَـذِرَ الـمَـحْـذُورَ وَٱسْـتَـصْـعَـبَ الـصَّـعْـبَـا[٦]

---

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٠. ومن طبيعة الوجود أن البشر يعملون بجدّ على النجاح في هذه الحياة، فيُوفق أحدهما، وهذا من حسن سعده، ويفشل الآخر بنفس العمل، فيكون خسراناً لنفسه وحزناً، فيكون ذلك من سعادة الأول وتعاسة الآخر.

(٢) و (٣) يصف الشاعر أسوار مدينة، فقد استطالت حتى بدت كأنها معلّقة بأكناف السماء وتدلّت فاتّسقت مع الأرض، ممَّا يوحي بمباركة السماء للأرض، فكانت هبة سمائية اخترقت حُجُب النجوم ورست على الأرض، ولشموخها تقف عائقاً تصدّ الرياح الهوجاء من كلّ نوع، حتى الطيور ترتدّ خائبة، فلا تقدر على التقاط الحبّ فيها إلّا بإرادة بانيها.

(٤) الردي: ضرب من عدو الجياد الشديد. الصّنبر: الريح الشديدة البرودة فيها غيم ومطر، العطب: القطن، العِهْد. يصوّر الشاعر البلدة وقد تكلّلت بالثلوج، فإذا بجياد سيف الدولة تخترق المفاوز والطرق الوعرة بسرعة وقوة فتتناثر الثلوج مندوفة.

(٥) و (٦) ولعظمة ذلك البناء الشامخ يعجب الناس ممّن بنى ذلك الصرح العظيم، لضعف هممهم يقيسون هذا العمل على أنه من خوارق العادات؛ وهذا هو الفرق بين سيف الدولة وهمم الآخرين، فهو لا يسمح للمستحيل أن يحول بينه وبين ما يريد، ولو عجز عنه الآخرون.

لِأَمْـرٍ أَعَـدَّتْـهُ الْـخِـلَافَـةُ لِـلْـعِـدَى
وَسَـمَّـتْـهُ دُونَ الْـعَـالَـمِ الـصَّـارِمَ الـعَـضْـبَـا[١]
وَلَـمْ تَـفْـتَـرِقْ عَـنْـهُ الْأَسِـنَّـةُ رَحْـمَـةً
وَلَـمْ يَـتْـرُكِ الـشَّـأْمَ الْأَعَـادِي لَـهُ حُـبَّـا[٢]
وَلٰـكِـنْ نَـفَـاهَـا عَـنْـهُ غَـيْـرَ كَـرِيـمَـةٍ
كَـرِيـمُ الـثَّـنَـا مَـا سُـبَّ قَـطُّ وَلَا سَـبَّـا[٣]
وَجَـيْـشٌ يُـثَـنِّـي كُـلَّ طَـوْدٍ كَـأَنَّـهُ
خَـرِيـقُ رِيـاحٍ وَاجَـهَـتْ غُـصـنـاً رَطْـبَـا[٤]
كَـأَنَّ نُـجُـومَ الـلَّـيْـلِ خَـافَـتْ مُـغَـارَهُ
فَـمَـدَّتْ عَـلَـيْـهَـا مِـنْ عَـجَـاجَـتِـهِ حُـجْـبَـا[٥]
فَـمَـنْ كَـانَ يُـرضـي الـلُّـؤْمَ وَالْـكُـفْـرَ مُـلْـكُـهُ
فَـهٰـذَا الَّـذِي يُـرْضِـي الْـمَـكَـارِمَ وَالـرَّبَـا[٦]

(١) الصارم العضب: السيف البتّار. لقد اعتمدت الخلافة العباسية سيف الدولة من حماتها وأعطته هذا اللقب لملاءمة المسمى الاسم.

(٢) و (٣) وردت الأبيات الأربعة التالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١٠. لقد انزاح أعداء سيف الدولة مرغمين عنه وعن بلاد الشام لا حبًّا به بل خوفاً منه ومن جيشه الذي دوّخهم فعادوا مهزومين والعار يُكلّل جباههم، وإنه كريم السجايا لم يجرؤ أحد على سبّه وسبّ آبائه، وهو بدوره لا يشتم أحداً ترفّعاً وكرامة.

(٤) الطود: الجبل الصعب المرتقى لعلوّه. الخريق من الرياح: العاصفة الشديدة الهبوب. يذكر الشاعر جيش سيف الدولة، فهو يتخطى الجبال الشديدة المرتقى الشاهقة، فيشقها شقين كأنه الرياح العاتية بمواجهة الأغصان الرطبة فتسحقها وتقضي عليها.

(٥) المغار: الإغارة. العجاج: الغبار. ومن المغالاة أن النجوم الدراري تختفي مخافة ثورة غضبه ومفاجأة إغارته، لذا احتجبت بإثارة الغبار حتى لا تبدو لعيان جند جيشه.

(٦) يعرّض الشاعر بمن يقبل الذلّ من الملوك ويستسلم للؤم والكفر، فسيف الدولة ليس من هذا القبيل إنه يسعى لرضى ربّه تعالى يحدوه في ذلك مكارم أخلاقه وحلو سجاياه.